[178] عمر بن سعد وقال: أؤامر ابن زياد، ولما كتب إليه في ذلك أبى إلا أن ينزل الحسين على حكمه، ولم يكد عمر يقرأ كتاب ابن زياد، حتى طلب إلى الحسين أن ينزل على حكم ابن زياد فأبى الحسين وقال: أما هذه فمن دونها الموت ! فزحف عمر بجيشه على الحسين وأصحابه وكانوا اثنين وسبعين رجلا فقاتلوهم أكثر من نصف النهار وأبلى الحسين وبنو أبيه، وبنو عمومته ومن كان معهم من أنصاره القليلين أعظم البلاء وأقساه، ورأى الحسين المحنة كأبشع ما تكون المحنة، رأى إخوته وأهل بيته يقتلون بين يديه، وفيهم بنوه وبنو أخيه الحسن وبنو عمه، وكان هو آخر من قتل منهم بعد أن تجرع مرارة المحنة فلم يبق منها شيئا (1). وقد كانوا يجزون رءوس القتلى ثم يسلبونها ! وسلبوا الحسين حتى تركوه متجردا بالعراء. ثم يسبون النساء كما يسبى الرقيق، وفيهم زينب حفيدة رسول ا ثم يأتون بهم ابن زياد وكان معهم على بن الحسين وكان صبيا (2) فأرسلهم ابن زياد مع سائر أهل الحسين إلى يزيد وقدم رءوس القتلى بين أيديهم وفيهم رأس الحسين فدخلوا به على يزيد فوضع أمامه فجعل ينكت في ثغره بقضيب (3) كان في يده وينشد: يفلقن هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما (4) _____ (1) قتل مع الحسين 17 رجلا كلهم من ولد فاطمة وقتل 23 رجلا من غيرهم وكان قتله يوم الجمعة لعشر خلت من المحرم سنة 61 ه بكر بلاء من أرض العراق (ص 146 ج 1 من الاستيعاب). (2) عن أبى حمزة بن يزيد الحضرى قال: رأيت امرأة من أجمل النساء وأعقلهن يقال لها رية حاضنة يزيد قالت: دخل رجل على يزيد فقال: أبشر فقد أمكنك ا من الحسين، وجئ برأسه فوضع في طست فأمر الغلام فكشف فحين رآه أحمر وجهه كأنه شم منه، فقلت لها: أقرع ثناياه بقضيب ؟ قالت إى وا، ثم قال حمزة وقد حدثنى بعض أهلنا أنه رأى رأس الحسين مصلوبا بدمشق ثلاثة أيام (ص 215 و 216 ج 3 سير أعلام النبلاء). (3) راجع وصف ما صنعوه مع هذا الصبى فيما نقلناه من كلام الجاحظ آنفا وما فعلوه بالحسين وبمن كانوا معه. (4) هذا البيت من قصيدة للحصين بن الحمام المرى وهو شاعر جاهلي مقل، قال أبو عبيدة: (اتفقوا على أن أشعر المقلين في الجاهلية ثلاثة، المسيب بن غلس، والمتلمس وحصين بن الحمام هذا). (*) _____